

## مقولات تلقي الجلال التلفزيوني

مقاربة نظرية

سمير لعرج. أستاذ مساعد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل-

ملخص :

يحاول هذا المقال الكشف عن بعض النقائص ؛ في دراسات جماليات التلقي، وذلك بعرض بعض مقولات تلقي الجلال التلفزيوني التي تمّ إغفالها ؛ وذلك باستخدام مقاربة نظرية ؛ في عرض أهم هذه المقولات، كمقولة جلال التجمعات البشرية، مقولة جلال الحركة، مقولة جلال المكان، مقولة جلال الكعبة، مقولة جلال طهارة المكان، مقولة جلال المعنى التلفزيوني، مقولة جلال ترتيل القرآن، مقولة جلال الذوق الروحي .

Abstrait :

Through this article, we try to figure out some imperfections in the previous studies on receiving aesthetics. after that , we show some citations on receiving television aesthetics that have never mentioned before , depending on an approach theory by showing the most important citations ; as : Citations on the eximination of sublime on the human crowds ; on the moving ; On the sacred place ; on the Sacred Makkah ; on the Purified place ; on TV meaning, on reciting the holy quran and on the spirituel taste .

## مقدمة

احتلت جماليات التلقي مكانة مرموقة في تاريخ البحث الجمالي ؛ ذلك أنها حوّلت اهتمام النقاد من دراسة الكاتب والنّص ؛ إلى دراسة النّص والقارئ ؛ ولقد عكف رواد مدرسة كونستانس ، على وضع الأسس النظرية والتجريبية لهذه الجماليات ؛ انطلاقاً مما يحمله الجميل من تأثيرات نفسية جرّاء التفاعل بينه وبين متلقيه ومتذوقه.

وانطلاقاً من الآثار التي تحدثها عملية تلقي النصوص الأدبية والفنية ؛ صُنفت هذه المقولات، تحت تسميات عديدة، مثل : التجربة الجمالية، اللذة الجمالية، المتعة الجمالية، الخبرة الجمالية، القارئ الضمني، القارئ المفترض، القارئ المثالي، أفق الانتظار.. ؛ وظلت هذه المقولات، إلى وقتنا الحالي، هي المؤطرة لتحليل أسس جماليات التلقي ؛ في شتى الفنون ؛ بما فيها الدراسات السينمائية، والتلفزيونية\*، وحتى تلقي الانترنت. لكن ؛ وبالنظر في جوهر القيم الجمالية التقليدية ؛ نلاحظ أنّ جمالية التلقي، قد أهملت الحديث عن الموضوعات والأعمال الجليلة ؛ ذلك أنّ تجربة الجلال ومقولاته وأسسها وشروطه ؛ تختلف عن باقي المقولات والقيم الجمالية الأخرى.

و لذلك سنحاول هنا، الحديث عن الجلال التلفزيوني، ومقولات تلقيه ؛ تأسيساً على رؤية نظرية، وذلك كالآتي :

### 1-نظرية التلقي والجمالية :

يعود الفضل في مزج الجمالية بالتلقي إلى "مدرسة كونستانس" في أواخر الستينات من القرن الماضي ؛ إذ ارتبطت جمالية التلقي بما كان يسمى "نظرية القراءة" ؛ التي كان مجال اهتمامها الآثار التي تفرزها عمليات تأويل النصوص، من خلال علاقة النص /القارئ، ولقد كان الفضل في تأسيس هذه الجمالية، راجعاً إلى "هانس روبرت ياوس" و"ولفغانغ آيزر" من خلال تحويل بؤرة الاهتمام بالنّص والكاتب، إلى التركيز على النّص والقارئ ؛ والأمر نفسه حدث مع "رولان بارت" في فرنسا بعد ذلك حين أعلن عن موت المؤلف ؛ وتحول الاهتمام إلى القارئ. «...إن جمالية الاستقبال كما سمى "ياوس" نظريته .. تتضمن أن الخلاصة

التاريخية للعمل الفني لا يمكن توضيحها بتفحص المنتج أو وصفه ببساطة، بل يجب معاملة الأدب كإجراءات جدلية للإنتاج والاستقبال»<sup>(1)</sup>. ولقد قدمت جمالية التلقي، أركاناً مهمة أطرت بها تفاعلية العملية الفنية والأدبية، وذلك من خلال مايلي :

**أ- القراءة:** تعني عملية، فهم وتأويل، النص، وإنتاج المعنى، بناء على ما تلقاه القارئ، «وفجوى القول: أن النص يشكل كونا من العلامات والإشارات، يقبل دوماً التفسير، والتأويل، ويستدعي أبدا قراءة ما لم يقرأ فيه من قبل»<sup>(2)</sup>.

وتأسيسا على هذا، تكون القراءة، قد بلغت معاني لتفكيك رموز النصوص الفنية، والأدبية على وجه التحديد؛ ولذلك ظهرت تسميات عديدة للقارئ، حسب مدرسة "كونستانس" والتي مارست تأثيرها فيما بعد على الدراسات النقدية التلفزيونية في إطار ما عُرف بجمالية التلقي التلفزيوني.

وفيما يخص "القارئ"، فجاءت تسمياته، وفقا لثقافة الكاتب، وما يتخيله عن الوضعيات التي يكون عليها هذا القارئ.

**-القارئ:** لقد ارتبط مفهوم القارئ في النقد الأدبي، بمستوى القراءة؛ وبما يتلقاه ويؤوله من معاني، من خلال عملية فك رموز النص، وإذا كانت القراءة ومستويات إبداعها قد عرفت جدلا واسعا بين النقاد، فإن القارئ كذلك قد أخذ مجاله في جدال النقاد؛ خاصة مع المدرسة البنوية؛ في ثنائية النص / القارئ، وإعلان "رولان بارت"؛ عن صد اهتمامه بالمؤلف.

وخلال هذه العملية؛ حول القارئ والقراءة؛ ظهرت عدّة تسميات للقارئ في إطار مدرسة "كونستانس" وهي كالاتي :

**-القارئ الضمني:** وهو الذي يلازم تصوّر الكاتب، وتخيله للقارئ الذي يكتب له؛ وبهذا يكون القارئ الضمني هذا، موجودا في النص ومحدّداً «من خلال حالة نصية واستمرارية إنتاج المعنى..»<sup>(3)</sup>

ونجد هنا "أيزر" أحد رواد جمالية التلقي؛ يؤكد هذا المعنى قائلا : «إن هذا الاصطلاح يوحد كلاً من ما قبل بناء المعنى الضمني في النص؛ وإحساس القارئ بهذا التضمن، عبر إجراءات القراءة»<sup>(4)</sup>

- **القارئ المثالي** : ويُشير إلى ذلك القارئ الذي يبلغ مستوى ثقافة المؤلف، ويقاسمه التجربة الشعورية ؛ ويقول في هذا، " روبرت آلان" متحدثاً عن القارئ المثالي بأنه «..هو القارئ الذي يشاطر، تماما المؤلف الشفرات النصية، والمعجمية، والثقافية، والإيديولوجية التي يستخدمها .. »<sup>(5)</sup>

- **القارئ الفعلي** : هو القارئ المتحصن بالقيم والثقافة مما يجعل تجربة الكاتب وتجربة القارئ، في مجال واحد، حيث يراعي المؤلف هنا خصوصية هذا القارئ، الذي : «..يستقبل صورا ذهنية بعينها أثناء عملية القراءة، ولكن هذه الصورة لا بد أن تتلون بلون مخزون التجربة الموجودة عند القارئ»<sup>(6)</sup>

- **القارئ النموذجي** : يُشير هذا القارئ إلى ذلك «..الذي يتمكن افتراضا من التعامل، على نحو تأويلي مع تغيرات (النص) بالطريقة نفسها التي يتعامل بها المؤلف، تعاملًا توليدياً مع تلك التعبيرات..»<sup>(7)</sup>

وبهذا، تبدو هذه التقسيمات في وقتها كافية لتأطير الخطاب الأدبي ؛ لكنها بتطور التجارب الفنية ؛ وتطور وسائل حمل هذه التجارب إلى المتلقي تبدو متغيرة، وذلك ما عملت عليه الدراسات النقدية في مجال التلفزيون ؛ وحتى في مجال تلقي وإنتاج مضامين الانترنت في وقتنا الحالي. ونعود للحديث عن أهم أسس نظرية التلقي ؛ وجمالياتها التي بها تكتمل عناصر العملية الإبداعية، وذلك كالآتي :

-**التجربة الجمالية** : تتأسس التجربة الجمالية أول مرة من خلال تمثلها لدى المبدع أو الكاتب ؛ ثم بعد ذلك تنتقل إلى القارئ أو المتلقي ؛ من خلال التلاقي بينه وبين النص الإبداعي ؛ والتجربة الجمالية هي حالة نفسية شعورية تميّز عملية، وشروط وظروف التلقي والتذوق..

-**الخبرة الجمالية** : وتتأسس هذه الخبرة من خلال الوعي الظرفي أو التاريخي ؛ بأهمية نقل التجارب الشعورية ؛ في شكل إبداعي عبر وسائط فنية متنوعة ؛ وهنا تتميز الخبرات الجمالية ؛ من مدرسة فنية ونقدية إلى مثيلاتها.

- **اللذة الجمالية** : تُحيلنا هذه اللذة ؛ إلى عالم النشوة، والراحة، والابتهاج النفسي، والشعوري ؛ نتيجة تذوقنا لعنصر الإبداع في العمل الذي

نتلقاه ؛ و يكون بذلك المتلقي للعمل الفني ؛ هو جوهر عملية تمثّل اللذة، ويمكن الإشارة هنا ؛ ما كتبه "رولان بارت" ؛ حول "لذة النص" ؛ وتأكيدُه على دور مسرح "بريخت" ؛ في نسج مصطلح اللذة عنده<sup>(8)</sup>، وتختلف اللذات باختلاف المواضيع المتذوقة ؛ و باختلاف المدارس الفنية والأدبية . وبالحدّث عن اللذة ؛ كدعامة رئيسية في تاريخ جمالية التلقي ؛ ننتقل للحديث عمّا يعقب اللذة ؛ وهو المتعة الجمالية.

**-المتعة الجمالية :** وهي مرحلة تعقب اللذة الجمالية، حيث تكون محصلة تلقي اللذة الفنية الناتجة عن التجربة والخبرة الجماليتين ؛ حيث تحيلان إلى «..ضرب من الإغماء وإلغاء الفاعل» بحسب تعبير "رولان بارت".

وبعد هذا العرض الموجز، لأهم عناصر جمالية التلقي، ننتقل للحديث عن عملية تلقي التلفزيون ؛ من خلال ما يسمى جمالية التلقي التلفزيوني ؛ مع الإقرار بأن المصدر الذي ارتكزت عليه هذه الجماليات السمعية، أو التلفزيونية ؛ إنما هو الجمالية الأدبية، ولعل ما يؤكد هذا هو دراسة "روبرت آلان" المعنونة "التلفزيون والنقد المبني على القارئ" ؛ «و من أبرز المساهمات في دراسة التلقي، تلك التي تتمثل في أعمال David Morley الذي أعطى دفعاً معتبراً لنظرية الجمهور القوي من خلال التركيز على المعنى التّصي ليس كرسائل مزروعة من طرف منتجي الإعلام.. وإنما بالتركيز على الدور الفعّال للمتلقي الذي يبني المعنى من الرسائل والتوكيد على سياق التلقي، والتخلي عن تحليل : المدونة والتدوين وفك المدونة ..لصالح سياق المشاهدة..»<sup>(9)</sup>.

## 2-جمالية التلقي التلفزيوني :

ارتكزت جمالية التلقي التلفزيوني ؛ كما قلنا ؛ على جمالية التلقي الأدبي ؛ إضافة إلى الجماليات التلفزيونية وجماليات السينما ، وعلى الرغم من ذلك، فإن مشروعية الحديث عن جمالية تلقي التلفزيون تتأسس عناصرها كالآتي :

-إذا كان الإبداع مُجسّداً في العمل الفني، فإن ذلك يطلب تذوقاً له، في إطار مضمون الجميل ؛ المحكوم بالتناسق والتناسب، والراحة ؛ وكمحصلة ؛

جمال الكلمة المكتوبة وبهذا يكون الإبداع المجسّد لتلفزيونيا، طالبا للتذوق؛ في إطار مضمون الجميل؛ المحكوم بالراحة النفسية، وبتناسق الصورة التلفزيونية؛ وشعريتها..؛ وبهذا تكون جمالية التلقي التلفزيوني؛ هي الأحق بدراسة هذه العملية؛ ونبدأ حديثنا هنا كما يلي:

- **المشاهدة التلفزيونية:** لقد تأسس مصطلح المشاهدة التلفزيونية على ما قدمته دراسات النقد المبني على القارئ؛ فقد لاحظ "روبرت آلان"، «.. أنه بالإمكان تطبيق نظرية القراءة على التلفزيون»<sup>(10)</sup> وبالتالي يمكن تعريف المشاهدة التلفزيونية في إطار جمالية التلقي؛ بأنها عملية تفاعلية بصرية بين المدركات، من خلال الصورة التلفزيونية، والمشاهد؛ ويمكن أيضا الحديث هنا، عن تطوّر المشاهدة التلفزيونية بتطوير تقنيات البث الفضائي؛ وظهور القنوات المتخصصة؛ حيث أصبحت هذه المشاهدة متشكلة من عدّة مستويات للمشاهدة.

- **المشاهد:** هو العنصر الأساس والفعال في عملية المشاهدة والتلقي التلفزيونيين، فهو المحدّد للآثار الجمالية التي تتبع عملية التلقي التلفزيوني؛ ويمكن لهذا المشاهد أن يكون متعدّدًا، مثل المشاهدة في الإطار العائلي (مورلي).. ويمكن تقسيم المشاهد التلفزيوني؛ إلى هذه التسميات:

- **المشاهد الضمني:** ويعني ذلك المشاهد التخيلي الذي يستحضره، كاتب السيناريو؛ أو المخرج، أو المصور، أو الممثل ساعة تقديم العمل التلفزيوني؛ ولقد استخدم "روبرت آلان" مضمون ما قدمته مدرسة "كونستانت"، في حديثها عن المشاهد الضمني.

- **المشاهد المنتظم:** تدلّ هذه التسمية على وجود مشاهدة منتظمة، مبنية على تتبع حلقات أو مسلسلات تلفزيونية في أوقات محددة ومنتظمة؛ والمشاهدة هنا «.. مرتبطة بتواريخ وذكريات تتحد جميعا لتخلق مجموعة لا نهائية تقريبا من الصلات المحتملة بين حادثة وأخرى في العقدة»<sup>(11)</sup>؛ وتبدو الجمالية التلفزيونية حاضرة هنا؛ بفعل الرباط النفسي الشعوري للمشاهد الذي يبقى مشدودا بخياله ووجدانه، لما سيأتي فيما بعد.

- **المشاهد المشبع الرغبات** : وترمز هذه التسمية إلى نوع من المشاهدين ؛  
يكون مبتغاهم الإشباع للحاجات ؛ النفسية والعاطفية، والجمالية، ..، وذلك في  
إطار ما قدمته نتائج دراسات نظرية الاستخدامات والاشباع.

- **المشاهد المُشخص** : يرمز هذا المشاهد إلى نوع المشاهدين المرتبطين  
ببرامج الأخبار والإعلانات التلفزيونية، حيث يرى "روبرت آلان"، «..أن  
التلفزيون كثيراً ما يهيئ لنا مشاهدين مشخصين على الشاشة، يفعلون ما  
لا يستطيع المشاهدون الحقيقيون أن يفعلوه : يتفاعلون مع الشخصيات  
الأخرى، ويستجيبون بأسلوب مثالي إلى مناقشات المخاطب وطلباته  
واستعجاله إياهم» (12).

- **التجربة الجمالية التلفزيونية** : يمكن الاقتراب من مضمون التجربة  
الجمالية التلفزيونية ؛ من خلال قولنا : إنها حالة نفسية شعورية تخيّم على  
عملية المشاهدة التلفزيونية ؛ من بداية الإحساس والتلقي لمجمل الصور وما  
فيها، إلى بداية اللذة والمتعة الجماليتين بالتحقق لدى المشاهد؛ مما يجعله  
يرقى إلى مستوى المقولات الجمالية . إن التجربة الجمالية التلفزيونية ؛  
المتنوعة بتنوع البرامج والقنوات، والفضائيات، لا تلبث أن تستقر على نمط  
واحد من المشاهدة ؛ بل تتجه بالمشاهد إلى أنماط متعددة ؛ ويتضح ذلك من  
خلاصة الدراسة التي أعدها "روبرت آلان"، والتي مفادها أن «..تجربتنا مع  
التلفزيون تتضمن صيغتين مختلفتين جداً من انشغال المشاهد، الأولى صيغة  
هوليود السردية، و الصيغة الأخرى من صيغ التلفزيون، في شغل  
المشاهد، هي الصيغة البلاغية، .. ويخاطب المشاهد هنا على نحو مباشر  
حين تنظر الشخصيات مباشرة نحو الكاميرا، وتتحدث إلى المشاهد..»  
ويمكن إضافة صيغ أخرى، لتجربة المشاهدة التلفزيونية مثل: مشاهدة  
البث المباشر اللامنقطع، من خلال قناة **القرآن الكريم** السعودية ؛ وقناة  
**السنة** السعودية، حيث نلاحظ هنا، تداخل تجربة الجمال مع الجلال ؛  
وإضافة لهذه الصيغة، يمكن الحديث عن صيغة مشاهدة البث المباشر  
لمجريات الأحداث، وهي تنمو وتتشكل مثل : الزلازل، والفيضانات،  
والحروب، وصور الموت، والقتل...، كما يمكننا الحديث عن تجربة

مشاهدة الصور التلفزيونية اعتماداً على صور مواقع شبكة الإنترنت ؛  
بحيث تكون هنا تجربة المشاهدة التلفزيونية ، متميزة عن باقي المشاهدات.  
بعد هذه الإشارات لتجارب الجماليات التلفزيونية ؛ ننتقل للحديث  
عن بعض عناصر جمالية التلقي ؛ و تمثلها في التلفزيون.

**-اللذة البصرية :** تكمن أهمية الرؤية البصرية في كونها ضرورية  
للمشاهدة التلفزيونية ؛ و إدراك جوهر الصور ؛ و يكون القلب هنا في هذه  
المرحلة هو السيد الأمر للحواس كلها ؛ حيث تشترك حاسة السمع والشم  
والذوق في ذلك ؛ وهنا يكون قد تحقق جوهر الجمال بمواصفاته وشروطه  
؛ وتبقى لنا اللذة المتعلقة بنور البصيرة والروح ؛ حيث يكون جوهرها  
الجلال بمواصفاته وشروطه.

**-متعة المشاهدة التلفزيونية :** إن المتعة التلفزيونية مختلفة عن متعة  
القراءة ، ذلك أن «..المتعة الجمالية (تتأسس) من خلال الطبيعة الخاصة بالتأمل  
الجمالي الذي يتم من خلاله التعليق أو الإيقاف المؤقت بين المشاهد والعمل  
الفني الموجه له ؛ فالمشاهد والعمل الجمالي يكونان شيئاً واحداً ؛ دون أي  
شعور بالانفصال بين الذات والموضوع ..»<sup>(13)</sup> ؛ وبهذا يمكن القول : إن المتعة  
الجمالية التلفزيونية هي حالة نفسية شعورية ؛ ترتقي بالمشاهد إلى الراحة ،  
والاسترخاء ، بعد اللذة البصرية التلفزيونية ؛ و يمكن الإقرار هنا مع  
الفيلسوف "جورج سانتيانا" «..أن المصدر الأساس للجمال هو اللذة  
البصرية..»<sup>(14)</sup> ؛ و لكنّ المصدر الأساس للجلال هو البصيرة والرؤية الروحية.

وبهذا يمكن القول : إن المتعة الجمالية التلفزيونية تختلف باختلاف  
المُشاهد ، و الموضوع المُشاهد ، وطبيعة البرنامج ؛ ثم طبيعة البيئة الجمالية  
السائدة في المجتمع ؛ فالمتعة المتولدة من مشاهدة الدراما ، تختلف عن المتعة  
المتولدة من مشاهدة مباراة في كرة القدم ؛ ثم إن هذا ؛ يختلف عن  
مشاهدة أخبار الحروب وصور القتلى؛ولكن الشيء المختلف هنا ؛ عن ذلك  
جميعاً ، هو مشاهدة ومتابعة مشاهد الحج على المباشر ؛ أو تتبع الطوائف  
حول الكعبة ؛ و الاستماع للقرآن الكريم ، وهو يتلى ، حيث تكون المتعة  
هنا متعلقة بالبعد الروحي ، ونور البصيرة.



وبعد هذا الحديث عن جمالية التلقي ؛ ننتقل إلى مجال مهم جدا في فلسفة الذوق ؛ والطمأنينة القلبية، و الخشوع، والرجاء.. لم تهتم به الجماليات التلفزيونية ؛ ألا وهو مجال تجلي الجلال التلفزيوني ؛ ومقولاته ؛ التي نؤطر بها خطابنا هنا، كالآتي :

1- في فلسفة مفهوم الجلال، وتميزه عن الجميل ؛ لقد اتفقت معظم الدراسات التي تناولت الجلال والجمال ؛ عن اختلافهما ؛ رغم أنهما محتويان في بعضهما ؛ هذا الاتفاق راجع لكون الجلال يعلو ويسمو على تجربة الجمال ؛ ولكونه أيضا، مرتبط بالخوف والرجاء، والهيبة والقهر، والعظمة واللانهاية ؛ و المطلقة ؛ أما الجمال، فهو مرتبط بالانبساط، والسرور، والبهجة ؛ والراحة الخفيفة؛ والبهاء ؛ والحسن..

وبالنظر في مجمل الرؤى الفلسفية ؛ نرى أنّ الفلسفة الإسلامية ترجع أصل الجلال إلى الجليل المطلق "الله جلّ جلاله" ؛ أما الفلسفة الغربية فترجع الجلال إلى قوى الطبيعة.

إن الله هو أصل الجلال ؛ «وهو الذي جلّ في علوّ صفاته ؛ وتعذّر بكبريائه أن يعرف كمال جلاله ؛ فعظمته أعظم من أن تُعرف، وأن يحاط بها.. وهناك صفات لله عز وجلّ ترجع إلى العظمة والقوّة والقداسة والغنى، هذه الصفات تجمعها صفة الجلال. وهناك صفات كالرحمة والإحسان واللطف والعتو والكرم ؛ فهذه الصفات يجمعها اسم الجميل..»<sup>(15)</sup> وفي تعريف آخر «.. يقول الشيخ محي الدين بن عربي (المتوفى 638هـ) في رسالة بعنوان "كتاب الجلال والجمال" : وأعلم أن القرآن الكريم يحوي على جلال الجمال، و على الجمال، فأما الجلال المطلق فليس لمخلوق في معرفته مدخل ولا شهود، انفرد الحقّ به، وهو الحضرة التي يرى فيها الحق سبحانه بما هو عليه ؛ فلو كان لنا فيه مدخل لأحطنا علماً بالله وبما عنده، وهذا محال»<sup>(16)</sup> ؛ وورد في «موسوعة أسماء الله الحسنی وصفاته الفضلى من الكتاب والسنة»، «..جَلَّ يَجْلُ، أي عظم قدره ؛ والجليل من له الجلالة والعزُّ والغنى والنزاهة، والجليل : هو العظيم الذي يتنزّه عمّا لا يليق به..الجليل : هو الموصوف بنعوت الجلال، والجامع لصفاتها جميعها، وهو الجليل المطلق، والجليل المطلق هو الله تعالى، والكبير : هو الذي يرجع في

صفاته إلى كمال الذات : فهناك كمال للذات، وكمال للصفات، مجموع الصفات التي ترتبط بكمال الذات :الكبير، ومجموع الصفات التي تتعلق بكمال الصفات : الجليل..»<sup>(17)</sup>.

إن فلسفة نفسية الجلال ها هنا، بالغة سلماً في ملكوت السموات والأرض، تُشرق جمالاً وجلالاً، تتجلى فيها عظمة الخالق تعالى ؛ وتفسرها معاني أسماء الله الحسنى ؛ ولعلّ من بين هذه الأسماء المرتبطة بالجلال ؛ نجد: العظيم، القاهر، الخالق، الرازق، المصور..

في مقابل لهذه الأفكار، الموجودة في الفلسفة الإسلامية، نجد أفكاراً لبعض الفلاسفة الغربيين ؛ الذين تحدثوا عن الجلال لكن بمنظور آخر يستند إلى الطبيعة كموضوع ينبع منه الشعور بالجلال ؛ حيث نجد الفيلسوف الانجليزي "ادموند بورك" يرى أن الجلال «.. يرتبط بالتوتر العضلي والعصبي ؛ وهو تلبية لدعوة شعور خير بالألم يتعلق بالفراغ، بالمخيف، بالغياب، بالانفراد، بالصمت»<sup>(18)</sup> ؛ ويذكر "كانط" تصوّرات عن الجليل، «.. فيذكر : جبال ذات قمم مغطاة بالثلج مشرفة على الغيوم .. أشجار سنديان باسقة، وظلال منفردة في غابة مقدسة هي من السامي وأسرة من الزهور وأجمات صغيرة هي من الجميل.. الليل سام والنهار جميل، السامي مدعاة للانفعال، فيما الجمال يغري..»<sup>(19)</sup>

إن تفسير نفسية الجلال بالشعور بالخوف والرهبة، والصدمة، والدهشة والعجز.. دون إرجاع ذلك كله إلى خالق الجمال والجلال، يبقى تفسيراً سطحياً، بعيداً عن حقيقة جوهر الخلق والوجود. وبهذا، لا يمكن بحال ؛ فهم وتفسير الجلال إلا بالرجوع إلى أصله وفهم طبيعته وتذوق جوهره ؛ فيكون بذلك الجلال المطلق صورة لما هو في الوجود، كآيات من آيات الخالق، دالة على صفاته وأسمائه، بمعنى، أن الجلال اللامحدود زمائاً ومكاناً، يطلب أدوات للتفسير نابغة من جوهره، متجهة إلى مبدعه وخالقه.

**2-الجلال التلفزيوني** : لقد اهتمت دراسات الجماليات التلفزيونية، بجمالية المكان التلفزيوني ؛ وجمالية الألوان ؛ والشخصيات التلفزيونية ؛ .. واهتمت كذلك ؛ بدراسة جمالية الخطاب الإشهاري ؛ وجمالية الخطاب الإخباري ؛ وجمالية الخطاب الدرامي، لكن بالمقابل ؛ أهملت دراسة الجلال التلفزيوني ؛ كمقولة جمالية أسس لها علم الجمال ؛ وبهذا الذي سبق سنحاول هنا ؛ تقديم بعض مقولات

تلقي الجلال التلفزيوني ؛ من خلال التركيز على نظرية التلقي التي تفترض وجود مرسل ومتلقي وتفاعل لكن ؛ هذه العلاقة هنا لا يشترط فيها أن تبقى مؤطرة بأسس جمالية التلقي ؛ مثل : المتعة واللذة ، واستحسان الصوّر.

و سنأخذ هنا ؛ قناتين تلفزيونيتين ، هما : "قناة القرآن الكريم" السعودية ، و "قناة السنة" السعودية ، لنستقريّ مكانم الجلال فيهما ؛ عبر تجربة شخصية في المشاهدة العلمية ؛ لمدة زمنية طويلة ، كتّا نسجل فيها ملاحظاتنا حول أهم مقولات الجلال على المباشر الحي اللا منقطع ، من بيت الله الحرام ؛ ومن المسجد النبوي ؛ خلال فترة رمضان 2015.

### 3-مقولات الجلال التلفزيوني:

- مقولة جلال التجمعات البشرية : تحدّد من خلال تتبعنا لصوّر "قناة القرآن الكريم" و "قناة السنة" أن هناك تجمعات بشرية غير منقطعة من خلال البث المباشر الحيذ ؛ المستمر في الزمان والمكان ، المحكوم بالعبادة ؛ وصور للطواف بالكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ؛ مقابل صوّر "قناة السنة" ، العاكسة لصوّر الصلاة ؛ ثم صوّر المصلين في زيارتهم لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ويبدو من خلال حركة هذه التجمعات البشرية عبر الصوّر التلفزيونية أن الجماليات التلفزيونية التقليدية ، غير قادرة على تأطير تجربة الجلال ؛ و مثل هذه المواقف ؛ ويمكن هنا الحديث ؛ عن الأبعاد الروحية ، والإيمانية التي تجمع أفراد هذه التجمعات البشرية ؛ وهذه التجمعات ممتدة في الزمن الحياتي ؛ وفي الزمن التلفزيوني ؛ ويكمن بهذا ؛ الحديث عن إعجاز التجمع البشري ؛ من حيث طبيعة المكان المقدّس والزمن ، المؤطر لصوّر هذه التجمعات البشرية. وبهذا ، تكون المعاني التي تقدمها الصورة التلفزيونية معاني تعلق على الجمال التلفزيوني ؛ وتتجه نحو جوهر الجلال المستظل بمعاني بعض أسماء الله الحسنى ، فأسماء : الله ، العظيم ، الحي ، الإله ، الربّ تكون قد تجلت بعض معانيها ؛ في مثل هذه المشاهد ، لهذه الحشود البشرية ، وهي تطوف ، وتدعو ، وتسبح .<sup>(20)</sup>

- مقولة جلال الحركة : إن ملاحظتنا التي سجلناها حول حركة

هذه التجمعات البشرية ، في صلواتها ، وطوافها ، وتسبيحاتها ، وسعيها .. هي حركة جميلة جلييلة ؛ في الوقت نفسه ؛ إذ يشعّ جوهر الجمال في تناسق

العبادة، والصلوات، والطواف، مع طبيعة الوجود وحركته، وتُشع "أنوار عالم الجلال" حين ندرك أن الطواف لا ينقطع مطلقاً عبر الصورة التلفزيونية؛ وأن السعي بين الصفا والمروة، لا ينقطع مطلقاً عبر الصورة التلفزيونية، إلا في أوقات الصلاة المفروضة...

- مقولة الجلال في الحركة من خلال حضور القلب وارتباطه يقينا بالخالق: ويتجلى ذلك عبر الصور التلفزيونية المغطية، للصلوات الخمس، والطواف بالكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، والدعاء والتسبيح، والأذان، وتلاوة القرآن، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، والصلاة والسلام عليه.

- مقولة الجلال في الحركة الموصولة بحب الله ورسوله: ويتجلى ذلك في شدّ المصلين، والطائفين، والمعتمرين الرحال إلى بيت الله الحرام، والمسجد النبوي.

- مقولة جلال حركة الزمن: من خلال تعاقب الليل والنهار، واحتوائها على تتابع أوقات الصلوات الخمس؛ وتتابع حركتي الطواف؛ والسعي بين الصفا والمروة..

- مقولة جلال الحركة: من خلال مصاحبته لحركة الأرجل؛ حركة اللسان تسبيحاً وذكراً، حركة الجوارح، الرمل، الركوع والسجود..

- مقولة جلال جوهر القيمة وجوهر الحركة: تتحدد هذه المقولة بالعلاقة بين القيمة والحركة من خلال صور "قناة القرآن الكريم" وقناة "السنة"، حين نلاحظ أن الحركة هي جوهر القيمة في حد ذاتها؛ بمعنى آخر، أن عبادة الله، والخضوع والخنوع، والخشوع له هي جوهر قيمة الوجود..

- مقولة جلال المكان: تجلى جلال المكان التلفزيوني على المباشر من خلال صور بيت الله الحرام، والمسجد النبوي، على امتداد الزمان في المكان، وتصوير الكعبة، وحركة الطائفين؛ وتصوير الصفا والمروة، وحركة الساعين بينهما..، وتصوير مقام سيدنا إبراهيم، وتقديم صور لهندسة المسجدين..؛ ويتحدد جلال المكان المقدس من خلال المقولات الآتية:

- مقولة جلال أصل المكان: كشفت صور "قناة القرآن الكريم"، عن جلال عظيم، قديم، هو أصل البيت الذي يرجع إلى سيدنا إبراهيم، قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) البقرة: الآية 127.

وفي تفسير هذه الآية يقول عبد الرحمان الثعالبي، " .. والذي يصح من هذا كله أن الله سبحانه أمر إبراهيم برفع قواعد البيت، وجائز قدمه، وجائز أن يكون ذلك ابتداءً.." (21)

- مقولة جلال الكعبة في علاقتها بالبيت المعمور : لقد دلت صور الكعبة، على الجلال العظيم، في اتصالها بالبيت المعمور، من حيث امتلائها بالطائفين؛ فالكعبة لا تفرغ من الطواف مطلقاً، وكذلك البيت المعمور، الذي هو في السماء، في عمارته بالملائكة.  
وقال عبد الرحمان الثعالبي في تفسير قوله تعالى : (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) **سورة الطور : الآية 4.**

".. هو الذي ذكر في حديث الإسراء، قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم وبهذا هي عمارته، وهو في السماء السابعة، وقيل السادسة، وقيل أنه مقابل للكعبة لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة. وقال مجاهد وقتادة وابن زيد : في كل سماء بيت معمور، وفي كل أرض كذلك" (22)

- مقولة جلال طهارة المكان : تحددت طهارة المكان من حيث ارتباطه بالعبادة الحقة؛ إذ أبدعت الصور التلفزيونية؛ في توضيح ذلك؛ فالمسجد الحرام؛ والكعبة المشرفة، وصحن الطواف، والصفاء والمروة؛ والمسجد النبوي؛ والروضة الشريفة؛ .. كلها أمكنة طاهرة مطهرة، تتسجم مع الطهارة الروحية والمعنوية والحسية، للمصلين، والطائفين، والعاكفين، والزائرين لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم. وبهذا يكون المكان الطاهر جليلاً، باعثاً على اللذة البصرية والروحية، معاً، باعثاً على حبّ المكان والتعلق به روحياً؛ منتجاً للطمأنينة القلبية، والمتعة الروحية المتعلقة "بأنوار عالم الجلال".

- مقولة امتداد جلال المكان في الزمان : دلت الصور التلفزيونية لقناتي "قناة القرآن الكريم" و"قناة السنة"، على جلال المكان والزمان؛ من خلال تعاقب الليل والنهار واحتوائهما لعبادة الصلاة، ثم الطواف بالكعبة الذي يطلب مكاناً محدوداً، لا يكون إلا في المسجد الحرام، فالكعبة المشرفة هنا عبر صور "قناة القرآن الكريم"، تطلب طوافاً لا ينقطع زماناً أبداً؛ ثم يتبع الطواف السعي بين الصفا والمروة؛ وهذه حركة تابعة

للتطواف زمانا... ؛ وبهذا ، يكون جلال المكان حاملاً لجلال الزمان في تناسُقية مطلقة مرفوعة إلى الله تعالى.

- **مقولة جلال المعنى التلفزيوني** : إن بناء الصوّر التلفزيونية ، "قناة القرآن الكريم" و"قناة السنة" ، على المباشر ، للمعنى وجلال المعنى ، يعكس ارتباطاً بحقيقة الوجود وما بعده ؛ ما يولد تذوقاً لحلاوة جوهر المعنى ؛ تكون متعتها الروحية تذوق حلاوة الخشوع والخنوع ؛ وهذا ما يؤسس لمقولة **إعجاز المعنى التلفزيوني** خاصة تلك المعاني المشبعة بالقرآن الكريم ؛ و بالأحاديث النبوية.

إن دراسات جلال المعنى ؛ هي عبارة عن تمثيلات لحقيقة جوهره كما أوحى به الله للأنبياء والرسل ؛ وكلّ انحراف عن هذا الجوهر ، يصاحبه انحراف في إنتاج وتأويل المعنى ؛ وبهذا يمكن الحديث عن حياة وموت المعنى ؛ و عن الإحياء والإماتة بالمعنى.

- **مقولة جلال المشاهدة والتلقي** : وتعني هذه المقولة ؛ وجود تجربة تلفزيونية ؛ تسمو بنا فوق التجارب التلفزيونية الأخرى ؛ كتجربة مشاهدة وتلقي الدراما التلفزيونية ؛ المحكومة بجوهر الجمال الذي لا يفسر وحده جوهر الجلال ؛ كما لاحظنا في أوّل حديثنا عن جمالية التلقي ؛ المحكومة بثنائية اللذة الحسية ؛ والمتعة الحسية.

- **مقولة جلال ترتيل القرآن الكريم** : لقد كشفت لنا صوّر "قناة القرآن الكريم" ؛ عن استمرار عملية ترتيل القرآن في الزمان ؛ لا تتوقف إلا في الصلوات المفروضة ، وفي حالات أخرى ؛ ودلّ هذا على إعجاز القرآن الكريم ؛ من حيث كونه الكتاب السماوي الذي يُتلى آناً الليل وأطراف النهار ؛ لا تتوقف معانيه في الحياة امتداداً.

إن جلال ترتيل القرآن ها هنا ؛ إنما هو راجع إلى طريقة ، وأسرار نظمه .  
- **مقولة جلال قراءة الأحاديث النبوية** : لقد كشفت لنا صوّر "قناة السنة" ؛ عن استمرارية عملية قراءة الأحاديث النبوية ، في الزمان امتداداً ، لا تتوقف إلا في أوقات الصلوات المفروضة ؛ وفي حالات أخرى ؛ ودل هذا على عظمة وجلال الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ من حيث كون سنته القولية ، لا تتوقف معانيها في الحياة امتداداً.

- **جلال سماع القرآن وهو يتلى** : دلّت عملية سماع ، حروف القرآن الكريم ، وآياته ، وسوّره وهو يتلى ، على الجلال المطلق لهذا القرآن ؛ من

خلال نظمه المعجز بإعطاء كل حرف حقه ؛ وكل كلمة حقها ؛ وكل آية حقها ؛ ويتولد هنا ما يمكن تسميته جلال سماع حروف ، وكلمات ، وآيات القرآن الكريم ، عبر الصورة التلفزيونية. كما دلت عملية سماع القرآن الكريم وهو يتلى على توافق المعاني التي فيه ؛ مع ما تريده النفس الإنسانية ؛ ومن خلال توافق وتساوق ؛ حروفه وأصواتها ، وكلماته وحروفها ، وجمله وكلماتها ، مع ما يرومهُ السمع والبصر والفؤاد .

- مقولة جلال السمع : وينفرد هنا القرآن بهذا الجلال ؛ كونه معجز في معانيه ؛ فسماع القرآن يولد الخشوع ؛ وتكون الصور التلفزيونية هنا ، في أجلّ حلتها وعظمتها ؛ ذلك أن اللذة في نظرية التلقي لا تقدر على تفسير هيئة سماع القرآن ؛ مما يطلب حديثاً آخر عن الخشوع ، والوجل ، ولين القلوب ؛ وجمال الخشوع السّمي التلفزيوني ، وجمال حلاوة السماع التلفزيوني .

- مقولة جلال الاقشعرار والخشية : وينفرد هنا القرآن ، بهذا الجلال ، كما ينفرد به ذكر الله تعالى ؛ ولقد قدمت الصور التلفزيونية للقناتين السابقتين ، ما يبعث عن هذا ؛ من خلال ؛ ترتيل القرآن ؛ وصور الركع السجود .

- مقولة جلال الذوق الروحي : ويعلو هنا الذوق ؛ على الذوق الحسي لينتقل الموقف إلى سبجات الجلال ؛ حيث عالم توافق القلوب وخشيتها واطمئنانها بذكر الله ؛ وقد عملت "قناة القرآن الكريم" ، و"قناة السنة" ، لساعة كتابة هذه الكلمات ، على ذلك .

- مقولة جلال الإحياء بسماع القرآن : إن في سماع القرآن الكريم ؛ عبر الصور التلفزيونية ، لهو الحياة للقلوب والأرواح ، والأبدان معاً ؛ فهو شفاء لما في صدورنا من أسقام ؛ وهو نور مبين في الحياتين ؛ تخشع وتتصدع القلوب بتلقيه .

## خلاصة

لقد حاولنا في هذا المقال الولوج إلى الآثار التي يحدثها تلقي الموضوعات والصورّ الجليّة؛ انطلاقاً من قناة القرآن الكريم، وقناة السنة؛ ولقد توصل هذا المقال إلى نتائج تخدم نظرية التلقي عموماً؛ وجمالية التلقي التلفزيوني خصوصاً؛ وذلك من خلال الحديث عن وجود ألفاظ ومصطلحات، تتفرد بها تجربة الجلال التلفزيوني؛ ولاحظنا أن ثنائية اللذة والمتعة التي قامت عليها جمالية التلقي؛ في جانبها الشكلي والحسي؛ غير قادرة على تأطير تجربة مشاهدة ومعايشة قيمة الجليل؛ في جوهرها؛ وتحدثنا هنا؛ عن الخشوع؛ والخنوع؛ والخضوع؛ والوجل؛ ولين القلوب؛ وجلال الخشوع السمعي التلفزيوني؛ وجلال حلاوة سماع القرآن؛ والذوق الروحي..

و بهذا يمكن لهذه المقولات أن تكون مجال بحوث ودراسات مستقبلية؛ يُكشف من خلالها عن قيمة جوهر وجود الإنسان.



## الهوامش

❖ أنظر مثلاً :

- Sorlin Pierre. Esthétique De L'audiovisuel .Edition Nathan Paris.1992
- Mitry Jean .Esthétique Psychologie Du Cinéma. Paris Editions Universitaires, 1990.
- Lotman Iouri. Sémiotique Et Esthétique Du Cinéma Traduit Du Russe Par Saline Breuillard. 1992
1. روبرت سي هول. نظرية الاستقبال، مقدمة نقدية. ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، ط1، دار الحوار للنشر، 1994، ص 75 -بتصرف-
2. علي حرب. قراءة مالم يقرأ، نقد القراءة، بيروت، باريس: الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي عدد: 60-61 جانفي 1989، ص41.
3. روبرت سي هول. المرجع السابق الذكر، ص103.
4. روبرت آلان. التلفزيون والنقد المبني على القارئ. ترجمة حياة جاسم، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1991، ص24-بتصرف-
5. المرجع نفسه، ص 24 -بتصرف-
6. المرجع نفسه، ص 25-بتصرف-
7. المرجع نفسه، ص 25-بتصرف-
8. للتوسع أنظر دراسة: محمد خير البقاعي. تلقي "رولان بارت" في الخطاب العربي النقدي واللساني والترجمي، كتابه "لذة النص" نموذجاً. عالم الفكر. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. المجلد السابع والعشرون - العدد الأول - يوليو/سبتمبر 1998.
9. السعيد بومعيزة. أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب -دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة- أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال. جامعة الجزائر. كلية العلوم السياسية والإعلام، 2005-، 2006 ص 48 -بتصرف-
10. روبرت آلان. مرجع سبق ذكره، ص16 -بتصرف-
11. المرجع نفسه، ص22.
12. المرجع نفسه، ص28.
13. المرجع نفسه، ص26.
14. شاكر عبد الحميد. التفضيل الجمالي، دراسة في سيكولوجية الذوق الفني. سلسلة عالم المعرفة. 2001، ص 41 -بتصرف.

15. محمد راتب النابلسي. موسوعة أسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى من الكتاب والسنة. مؤسسة الفرسان، الأردن، ط1، 2015، صص845-847 -بتصرف -
16. عبد الحميد خطاب. الجمالية والفن عبر التوجيه الفلسفي. ديوان المطبوعات الجامعية، 2011 ص 121. نقلا عن : الشيخ محي الدين بن عربي. كتاب الجلال والكمال، ص 4، ضمن : رسائل ابن العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان (د.تا).
17. محمد راتب النابلسي. المرجع السابق الذكر، ص 845 -بتصرف-
18. دني هويسمان. علم الجمال. ترجمة، ظافر الحسن، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون تاريخ، ص 25.
19. مارك جيمينيز. ما الجمالية ؟ ترجمة، شريل داغر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 156 -بتصرف-
20. معرفة معاني هذه الأسماء، أنظر : النابلسي، مصدر سبق ذكره ص 137-37.
21. عبد الرحمان الثعالبي. الجوهر الحسان في تفسير القرآن. تحقيق:عمار الطالبی، ج 1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 ص 134.
22. المصدر نفسه، ص ص 291، 292.